رابط المادة على منصة باحث

رسالة ذم قسوة القلب

الدرس 3 من شرح رسالة ذم قسوة القلب لابن رجب الحنبلي

خالد المصلح

يقول المؤلف رحمه الله. منها كثرة الكلام بغير ذكر الله كما في حديث ابن عمر السابق ومنها نقض العهد مع الله تعالى. قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبا - 00:00:00

فهم قاسية. قال ابن عقيل يوما في وعظه يا من يجد من قلبي قسوة احذر ان تكون قد نقضت عهدا. فان الله يقول فبما نقضيهم ميثاقهم؟ الاية ومنها كثرة الضحك. ففي الترمذي عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي - 00:00:20

صلى الله عليه واله وسلم قال لا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال روي عن الحسن قول وخرج ابن ماجة من طريق ابي رجاء الجزري عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الاسقيع عن ابي هريرة قال - 00:00:40

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب ومن طريق ابراهيم بن عبدالله بن حنين عن ابي هريرة فعن النبي صلى الله عليه وسلم؟ نعم. فالمؤلف رحمه الله بعد ان فرغ من ذكر ما يتعلق بقسوة القلب التي هي غلظه - 00:01:00

ويبسخ وصلابته وشدته وخلوه من المعارف القلبية من المحبة والتعظيم والانابة والخشية انخلاعه من رسوم العبودية. انتقل الى بيان اسباب قسوة القلب. وما ذكره رحمه الله في هذه الرسالة انما هو شيء يسير من الاسباب التي تفظي بالقلب الى القسوة والغلظ واليبس. فقد ذكر خمسة - 00:01:20

في اسباب قسوة القلب. بدأها رحمه الله بكثرة الكلام. وبه يتبين لك عظيم تأثير اللسان عمل الانسان فاللسان له من الاثر في مسيرة الانسان الى ربه جل وعلا ما ينبغي للمؤمن ان - 00:01:50

قيم لسانه وان يكون رقيبا على لسانه يقول ابن مسعود رضي الله عنه ما شيء في الارض احق بطول سجن من اللسان ما شيء في الارض احق بطول سجن من من اللسان. وهذا يدل على خطورة اللسان. ولتدرك ذلك انظر الى حديث معاذ الذي سأل فيه - 00:02:10

النبي صلى الله عليه وسلم عن ابواب البر وصنوف الصلاح وعن عمل يقربه الى الجنة ويبعده عن النار فذكر له النبي صلى الله عليه وسلم افنانا والوانا من العمل الصالح. ثم بعد ان فرغ من ذلك كله قال الا ادلك على مناك ذلك؟ قال بلى يا رسول الله - 00:02:30

من اجل ذلك يعني الذي تملك به كل هذه الخيرات وتدرك به كل هذه الابواب الصالحة من قيام ليل وصدقة جهاد وتوحيد وسائر ما ذكره الحديث من ابواب البر ملاك ذلك يعني التحكم بالنفس الذي يعينك على - 00:02:50

ادراك تلك الفضائل قال النبي صلى الله عليه وسلم كف عليك هذا واشار الى لسان نفسه. كف عليك هذا والكف معناه الايقاف والحبس. كف عليك هذا ومن الالفاظ التي تدل على وجوب الحزم في الوقوف امام طغيان هذا اللسان قوله - 00:03:10

صلى الله عليه وسلم كف عليك هذا فالكف هو التوقيف الذي فيه من القوة والحزم ما يمنع المكفوف من المضي ولذلك ان كفت يده يعني رفعت واوقفت عن التحكم في ما كان فيه متحكما او عاملا. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال كف عليك هذا ثمان معاذ رضي الله عنه استعجل - 00:03:30

مستغرب من هذا الامر فقال او انا مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟ قال ثكلتك امك يا معاذ. ومعاذ ليس من اطراف الناس انه من فقهاء الصحابة حتى جاء فيه الحديث وان كان ضعيفا انه يأتي يوم القيامة وقد تقدم العلماء برتوة او رتبة وذلك انه رضي الله عنه جمع من - 00:03:50

والمعرفة والفقه ما فاق به غيره. مع ذلك يقول او انا مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا

معاذ هل يكب الناس على وجوههم وفي رواية مناخرهم الا حصائد السنتهم يعني نتاج ما تكلموا به فاللسان شأنه خطير - 00:04:10
كبير والنصوص في هذا كثيرة مستفيضة فبه يحصل الايمان والتقوى وبه يحصل الكفر والبهتان به يحصل الخير وبه يحصل الشر لما كان اللسان مفتاحا للجنة كما انه مفتاح للنار. قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل - 00:04:30
خيرا او ليصمت. وهذه قاعدة وقانون يحكم به الانسان ما يصدر عنه من الكلام. فكثرة الكلام هنا مقصود بكثرة الكلام الكلام المباح وليس كثرة الكلام مطلقا. انما المقصود بالكثرة هنا كثرة الكلام في المباحات. واما كثرة الكلام في الطاعات - 00:04:50
هذا مما امر به وهو مما يلين القلب ويصلحه. واما كثرة الكلام بالمعاصي فهو داخل في السبب الاخير الذي ذكره في قوله كثرة الذنوب انما مقصوده بقوله رحمه الله كثرة الكلام بغير ذكر الله اي في المباحات. وانك لتعجب من بعض الناس. تجلس - 00:05:10
فمنذ جلوسك الى انصرافك وهو لا يكف عن كلام وحديث لكن اذا اردت ان تخرج من هذا الكلام بفائدة بخير تجد فيه الا ما لا يذكر من ذلك. وقد لا تجد شيئا وهذا لا شك انه قصور بالعبد ومواقع للشر - 00:05:30
لان عمر رضي الله عنه اعطى في هذا تصور لما ينتهي اليه ويؤول اليه كثرة الكلام. من كثر كلامه كثر سقطه كثر كلامه كثر سقطه واذا كثر سقطك كثر ذنبك واثمك عند رب العالمين. فينبغي للمؤمن ان يحفظ لسانه - 00:05:50
وان يكفه ما استطاع فالصمت حكمة وهو رحمة اذا كان في محله فينبغي للمؤمن ان يحرص على ذلك. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اشار اليه المؤلف رحمه الله كما في حديث ابن عمر السابق لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله - 00:06:10
قوة للقلب وهذا يدل على تأثير اللسان على القلب. واللسان يؤثر على القلب تأثيرا بالغا. فكم من كلمة اسود بها القلب وكم من كلمة اشرق بها القلب فينبغي للمؤمن ان يكون حريصا على لسانه وكلامه وان لا يكثر الكلام الا في ما يحب - 00:06:30
الله تعالى ويرضاه. واما ما عدا ذلك فليقتصر على ما تدعو اليه الحاجة. وقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت. هل - 00:06:50
انك ما تتكلم الا في حديث وفقه وتفسير وامر بمعروف ونهي عن المنكر وتسبيح وتهليل وما الى ذلك من الاذكار والعمل الصالح لان الخير نوعان حتى لا نصل الى نوع من الغلو مع النوع ما اظن ان نصل اليه لكن هذا من باب تكميل الفائدة والفهم للمقصود ان - 00:07:00
نوعان خير في ذاته وهذا مأمور به امرا اوليا. كقراءة القرآن قراءة الحديث الامر بالمعروف تعليم العلم آآ العلوم الشرعية الذكر هذا خير يدخل في قوله من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وهذا من النوع الذي الخير في ذاته في ذات الكلام في - 00:07:20
في جنس الكلام. اما النوع الثاني من الخير فهو ما كان فيه الخير في نتيجته واثره. لا في ذاته انما في اثره وثمره وذلك في الكلام الذي تدفع به عن اخيك سآمة او تدخل به سرورا او تلاطفه به - 00:07:40
فيدخل في عموم ما امر الله تعالى به من قوله جل وعلا وقولوا للناس حسنا. فاذا قلت كيف حالك؟ صبحك الله بالخير وما اشبه ذلك من الكلام الذي هو من التحايا قد تقول يكفي السلام عليكم واديت الواجب ثم ما زاد لا نقول الخير ليس فقط فيما امرت به بل حتى - 00:08:00
فيما يؤدي الى الخير من ادخال السرور والملاطفة وازالة ما قد يعلق في النفوس من من الشر او ما الى ذلك هذا من الخير الذي يترتب على الكلام فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت. اذا قوله رحمه الله منها كثرة الكلام بغير - 00:08:20
بذكر الله اي الكلام المباح الكلام المباح فينبغي للانسان ان يحفظ لسانه عن ذلك. قال ومنها نقض العهد مع الله تعالى نقظ العهد وابطال ما سبق ابرامه. فالنقض هو ابطال ما سبق ابرامه وعقده. فاذا نقضت شيئا فقد حللت - 00:08:40
بعد توثيقه وربه. فنقض العهد هو اخلاف ما عاهدت الله تعالى عليه. ونقبل عهد نوعان المقصود بكلام المؤلف هو نوع لا يدخل في

كلام المؤلف دخولا مباشرا. كل مخالفة ومعصية يعصيها الانسان ربه بعد علمه بانها - 00:09:00
هذا من نقم العهد. ولذلك نحن نقول في سيد الاستغفار حديث شداد بن اوس رضي الله عنه. اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبد وانا على عهدك ووعدك ما استطعت يعني فيما استطيع. هذا العهد والوعد العام الذي يشمل كل اوامر الشريعة. كل - 00:09:20
ما امرك الله به وكل ما نهاك عنه فهو عهد ميثاق اخذه الله تعالى عليك ان تمتثل امر النبي صلى الله عليه وسلم وتلتزم شرعه فهذا العهد ليس المقصود في هذا الكلام انما المقصود هنا العهد الخاص الذي يعاهد فيه العبد ربه على امر من الامور اما بفعل او ترك - 00:09:40
واما بعطاء او صدقة ثم يخلف ذلك بعد ان يحصل له ما يريد. فهذا لا شك انه من اعظم مما تقسو به القلوب ومما يورث في القلوب نفاقا وشرا. وقد قال الله تعالى فبما نقظهم ميثاقهم لعناهم - 00:10:00
وجعلنا قلوبهم قاسية. والميثاق الذي اخذه عليهم ان يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم وبين لهم اه وبينت لهم علاماته فهؤلاء نقضوا العهد فكانت عقوبتهم ان لعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية. وتأثير نقض العهد على القلب ايضا في قوله تعالى ومنهم من عاهد الله - 00:10:20
لان اتانا من فظله من الصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما اتاهم من فظله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فماذا كانت العاقبة؟ فاعقبهم نفاقا وين؟ في قلوبهم. وهذا يبين اثر نقض العهد على القلب. ولذلك ينبغي للمؤمن ان يكون - 00:10:40
هنا في غاية الحذر من ان يعد الله وعدا او ان ينذر نذرا او ان يعاهد الله عهدا ثم بعد ذلك يخلف هذا العهد. اما المخالفة العامة التي تكون بارتكاب معصية او تقصير في واجب فهذا ينبغي للمؤمن ان يستعتب ولذلك كان من المشروع في سير المؤمن الى ربه - 00:11:00
ان يقول في اذكار صباحه ومساء هذا الذكر الذي هو من سيد هو اعلى الاستغفار واجمعه وهو اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت ابوء لك بنعمتك علي اي اقر بنعمتك علي وابوء بذنبي اي اقر بذنبي وهذا الاقرار اقرار - 00:11:20
يستلزم الاقلاع واعلان الرجوع الى رب العالمين. ابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت. قال رحمه الله قال ابن عقيل يوما في وعظه يا من يجد من قلبه قسوة احذر ان تكون نقضت عهدا وهذا تنبيه انه اذا - 00:11:40
لوجدت في قلبك قسوة فينبغي ان تفتش عن الاسباب. من الناس من يشكو قسوة قلبه ويقول انا قلبي ما يلين. عيني لا تدمع. لا اجد لذة للطاعة ولا اجد انسا بذكر الله تعالى. اقرأ القرآن ولا يؤثر علي. هذا لا شك ان هناك مانع. هذه الامور موجبة. الذكر - 00:12:00
الطاعة الصدقة الاحسان قراءة القرآن كلها اسباب للين القلب. فاذا كان هناك عدم ثمرة مع حصول الاسباب فهل من هناك مانع فتش عن هذا المانع في قلبك ما يمكن ان تقول والله روح الطبيب يشخص الطبيب هو انت فانظر ماذا معك من السوء وماذا - 00:12:20
معك من التقصير في الخير وقد يكون الانسان مدخولا في نيته وقد يكون الانسان مبليا بافة قلبية غفل عنها الكبر مثلا هذه من الافات التي الى قلوب كثير من الناس حتى ممن يرى فيه الصلاح ولا ينتبه لهذا البلاء الذي يفتك بقلبه حتى ابن مسعود ذكر فيما رواه الامام مسلم في - 00:12:40
من حديث من حديث ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر مثقال يعني وزن وهو ادنى ما يوزن - 00:13:00
حبة من كبر فينبغي لنا ان نفتش عن الاسباب التي من خلالها حصلت هذه القسوة. اما ان يشتكي الانسان من المرض يشخص الاسباب ولا يسعى في ازالة موجبات هذا البلاء فلا شك ان هذا من التقصير الذي لا تحصل معه نتيجة لو جلسنا نشكو قسوة قلوبنا من اليوم - 00:13:10
الى غد ونحن لا نعمل على ازالة اسباب القسوة وحصول اسباب اللين لا شك اننا لن ندرك ما مأمولنا. يقول رحمه الله ومنها السبب ثالث من الاسباب التي ذكرها المؤلف كثرة الظحك. هي من اسباب قسوة القلب كثرة الظحك. ففي الترمذي عن الحسن عن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تكثروا - 00:13:30
فان كثرة الضحك تميت القلب. وقد روي عن الحسن قوله يعني هذا روي اه من قول الحسن رحمه الله والحسن هو الحسن البصري الزاهد رحمه الله. وهذا الحديث صححه جماعة من اهل العلم المتأخرين. وفيه النهي عن كثرة الظحك - 00:13:50
نهي عن كثرة الضحك هو النهي عن التمادي فيما يلهي القلب. لان الظحك هو نوع من الغفلة تصيب القلب هي من حيث الحاجة اليها القلوب تحتاج الى شيء من الترويح. تحتاج الى شيء من الابتهاج والسرور وهذا امر كان عليه - 00:14:10
النبي صلى الله عليه وسلم بل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له ما ذكر من عمل بعض العاملين قالت له من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى - 00:14:30
تتملك فينبغي لنا ان نعطي القلوب نصيبها من الترويح والابتهاج والسرور لكن اذا طغى البحث ليس في اصل الظحك انما بحثه في كثرة الظحك وهو ان يخرج عن الحد المعقول الذي تحتاجه القلوب لتتزود الى في سيرها وتستعين به في آآ - 00:14:40
الى وسفرها الى ربها جل وعلا. وقد قال صلى الله عليه وسلم في بيان تأثير كثرة الضحك قال فان كثرة الضحك تميت القلب. كيف؟ كيف يكون كثرة الضحك اكتبت القلب. كثرة الضحك تقترن بالغفلة. والغفلة من اعظم الادواء الفتاكة للقلوب. والا فالضحك نفسه الذي هو ظهور - 00:15:00
السرور على وجه الانسان وظهور ثناياه ابتهاجا وسرورا وظحكا هذا قد يكون عمل طبيعي لكن الاشكال ان هذا العمل الطبيعي الذي اذا اسرف الانسان في اخذ اسبابه والاقبال عليه اصاب قلبه الغفلة ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه لو تعلمون ما اعلم - 00:15:20
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انتج هذا عملا وهو لخرجتم الى الصعدات اي الجبال والبراري والصحاري تجأرون الى الله تطلبون منه الرحمة وتطلبون منه العفو. لعظيم ما تستقبلون من الاهوال وهذا يبين انه ينبغي للعبد ان يبعد عن كل سبب - 00:15:40
يغلف قلبه بالغفلة فالغفلة من اعظم الاسباب الفتاكة التي تذهب برونق القلوب وتميتها. ثم قال رحمه الله وخرج ابن ماجة من طريق ابي الرجاء الجزري عن برد ابن سنان عن مكحول عن واثلة ابن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال - 00:16:00
الضحك تميت القلب. وهذا الحديث فيه معنى الحديث السابق واسناده لا بأس به. ومن طريق ابراهيم ابن عبد الله ابن حنين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى الحديث المتقدم. اذا بهذا نكون قد قرأنا ثلاثة اسباب من اسباب قسوة القلب وهي كثرة الكلام - 00:16:20
لذكر الله تعالى نقظ العهد مع الله تعالى كثرة الظحك - 00:16:40